12me Année No. 556

Lundi - 28 2 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٥٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

١٨١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...

١٨٣ لقد هان هـذا الخطب ... : الدكتور زكي مبارك ... ...

١٨٦ التعارف بين الأدباء ... .. : الأستاذ دريني خشبة . ...

١٨٨ إيوان كسرى بين شاعرين : الأستاذ حسن الأمين .. ...

١٩١ صلات علمية بين مصر والشام : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

١٩٣ نقل الأديب . . .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١٩٤ سجاد الأناضول .. . . : الدكتور محمد مصطفى .. ...

١٩٧ النسر ... ... [قصيدة] : الأستاذ عمر أبو ريشة ...

١٩٧ بين مبدين .. « : الأديب يحيى الدين صابر ...

١٩٧ خلود . . ... « : الأديب زكريا الحجاوي ..

١٩٨ الشعر الجديد ... . : الأستاذ الكبير « ا . ع »

١٩٩ زكي مبارك وإعجاز القرآن : الأستاذ محمد أحمد الغمراوي ..

١٩٩ إلى الدكتور زكي مبارك ... : الأستاذ سهيل إدريس . .

٢٠٠ معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية . ...

١٥ ـ دفاع عن البلاغة

٧ — الأسـلوب

نعود إلى حديث البلاغة بعد أن صرفتنا عنه صوارف من توزع البال وفتور الطبع واعتلال الجسد . وكانت النية أن نترك بقية هذا الدفاع لينشر بجملته في كتاب ؛ ولكن رغبة القراء ما زالت تلح على هذه النية حتى تناولت القلم وأخذت أكتب :

سبق القول في الصفة الأولى من صفات الأسلوب الجامعة الثلاث وهي « الأصالة » وما تضمنته من صفات الدقة والصحة والصدق والطبيعية والوضوح[1]. وكلامنا اليوم في الصفة الثانية منها وهي « الوجازة » . وإذا كانت الأصالة هي الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسمة المميزة للكاتب الحق ، فإن الوجازة بإجماع الرأي هي حد البلاغة[2] . وإذا كانت الوجازة أصلاً في بلاغات اللغات ، فإنها في بلاغة العربية أصل وروح وطبع . وأول الفروق بين اللغات السامية واللغات الآرية أن الأولى إجمالية والأخرى تفصيلية . يظهر ذلك في مثل قولك : (قُتل الإنسان !) ، فإن الفعل في هذه الجملة يدل بصيغته الملفوظة وقرينته الملحوظة على المعنى والزمن والدعاء والتعجب وحذف الفاعل ،

(١) راجع العددين ٥٢٢ ، ٥٢٤ (٢) راجع العددين ٤٩٤ ، ٤٩٦

وهى معان لا تستطيع أن تعبر عنها فى لغة أوربية إلا بأربع كلمات أو خمس . وطبيعة اللغـات الإجمالية الاعتماد على التركيز ، والاقتصار على الجوهر ، والتعبير بالـكلمة الجامعة ، والاكتفاء باللمحة الدالة ؛ كما أن طبيعة اللغات التفصيلية العناية بالدقائق ، والإحاطة بالفروع ، والاهتمام بالملابسات ، والاستطراد إلى المناسبات ، والميل إلى الشرح . ولم تعرف العربية التفصيل والتطويل والمط إلا بعد اتصالها بالآرية فى العراق والأندلس . ولا أقصد من وراء ذلك إلى تفضيل لغة على لغة ، أو ترجيح أسلوب على أسلوب ، فإن الاختلاف اختلاف جنسية وعقلية ومزاج . والتفصيل إذا سلم من اللغو كان كالإجمال إذا برئ من الإخلال ؛ وكلاهما حسن فى موقعه بليغ فى بابه . وقد يكون التفصيل من الإيجاز إذا قدّر لفظه على معناه ؛ فإن الإيجاز الذى نعنيه أن يدل اللفظ على المعنى ولا يزيد عليه ؛ فإن كان ناقصاً عنه فهو إيجاز الحذف والقصر ، وإن كان مساوياً له فهو إيجاز التقدير والمساواة . إنما أقصد بذكر الإجمال والتفصيل إلى أن الأسلوب العربى الأصيل موسوم بالوجازة من أصل النشأة ؛ لأنه أسلوب أمة صافية الذهن دقيقة الحس سريعة الفهم ، تشعر بقوة ، وتعبر بقوة ، وتفهم بقوة . وقوة الروح والقلب ، وقوة العقل والخلق ، تلازمهما قوة اللسان والقلم ، أى البلاغة . والبلاغة الإيجاز ، والإيجاز امتلاء فى اللفظ ، وقوة فى الحبك ، وشدة فى التماسك . ولا ترى التميع والتفـكك والانتشار إلا حيث ترى الضعف فى شىء من أولئك . وملاك الإيجاز غزارة المعانى ووضوحها فى الذهن ، وطواعية الألفاظ ومرونتها فى اللسان . وإنما يكون الى والثرثرة ومضغ الـكلام من جدب القريحة أو قلة العلم أو سقم الذوق أو نبوّ اللغة أو مجافاة الغرض . ومن الـكلام المأثور : من ضاق عقله اتسع لسانه . اختصر فى صفة واحدة صفات البلاغة فى أساليب القرآن والحديث وأشعار الجاهليين وخطب الأمويين وكتب العباسيين ، فلن تـكون هذه الصفة غير الإيجاز . إقرأ قوله تعالى فى آخرة الطوفان : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ، ويا سماء أقلعى ، وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودى ، وقيل بُعداً للقوم الظالمين » ، وقول الرسول (ص) فى تقييد الحرية ، وهو الذى أوتى جوامع الكلم واختُصر له الـكلام : « إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لـكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلـكوا » ؛ ثم قول زهير فى حروب عبس وذبيان :

رعوا مارعوا من ظمئهم ثم أوردوا غِماراً تسيل بالرماح وبالدم
فقضّوْا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كَلأ مستوبَل متوخَّم

وقول معاوية لعائشة بنت عثمان وهى تثيره على قتلة أبيها : « يا ابنة أخى ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد . ومع كل إنسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره . وإن نـكثنا نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا يكون أم لنا : ولأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين ، خير من أن تـكونى امرأة من عراض المسلمين » فهل تجد آية البلاغة فى هذا الذى قرأت غير الإيجاز وما يصحبه من الجزالة والجلالة والبروز والسبك ؟ وهل تجد مصدراً لهذا الإيجاز المطبوع غير القوى المشبوبة فى النفوس والعقول والطباع ؟ انحدر بعد ذلك رويداً إلى عهود الوهن والانحلال تجد التطويل وتوابعه من اللغو والحشو والسقط يزيد بزيادة الضعف ، ويتقدم بتقدم الجهالة ، حتى تسقط به على كتب الدواوين وعهود السلاطين فتدهش أن يكون فى خلق الله من يملأ مائة صفحة بالفِقر والأسجاع ولا يعنى بها شيئاً

لذلك كان الإسهاب أول ما يصاب به ناشئة الـكتاب ، لأن جهدهم القليل يضيق عن شرح الفـكرة ، فيدورون حولها مجمجمين بالـكلام الفوارغ والجمل الجُوف . ومن جناية الصحافة على الأسلوب أن أكثر كتابها يؤثرون الـكمّ على الـكيف ، فيكثّرون الصغير ، ويطولون القصير ، لأن الصحيفة تخرج كل يوم ، ولا يجوز أن تخرج بيضاء ! وقد كان أحد شيوخ الصحافة يديج مقالاً فى نهرين طويلين كل صباح ؛ فإذا نظرت فيه على أن تقرأ سطرين وتترك أربعة بلغت آخره وقد حصلت من ثلثه

احمد حسن الزيات

(البقية على صفحة ٢٠٠)